بعض العيون لا تنسى...
ويعض القلوب لا تتوقف.
عن البحث عن وجه واحد
بين كل النجوم.
عيون لم تغلق
على النسيان
رواية
قصة حب...
ولدت من اصدفة.
كبرت في الخوف.
واختبرت في آقسى
الظروف.
فهل يكون الحب
آقوى من الماضي؟
توحيد هارون نوبهه

أحياناً لا تأتي القصص لترُوى، بل لتفرض نفسها كجرحٍ مفتوح لا يلتئم بسهولة، وكأنها لم تخُلق لتنُسى بل لتبقى حيّة مهما حاول الزمن أن يغطيها.

في الخرطوم، حيث تتداخل الأصوات بين ضجيج الحياة اليومية وهدوء الليل المتعب، يمكن لـلحظة واحدة أن تغيرّ كل شيء. نظرة عابرة، صدفة غير محسوبة، أو طريق يتقاطع فيه شخصان لا يجمع بينهما شيء... إلا أن القدر قرر غير ذلك.

سلمى لم تكن تبحث عن قصة. جاءت تحمل قلباً متعبًا من أسئلة كثيرة، وظنّت أن العودة إلى الجذور قد تمنحها شيئاً من الاستقرار. لكنها لم تكن تعلم أن بعض الأماكن لا تعيد الإنسان إلى نفسه، بل تدفعه إلى نسخٍ جديدة منه لم يكن مستعدًا لها.

ومحمود... لم يكن يشبه فكرة "الإنسان العادي" منذ البداية. كان يحمل ماضياً لا يقُال بسهولة، وندوباً تعلّم منها أن القرب خطر، وأن الثقة ترف لا يملكه من عاش طويلً في الهامش. لكنه رغم كل ذلك، وجد نفسه أمام شيء لم يستطع تفسيره... حضور يربكه، ويكسر قوانينه القديمة دون أن يستأذن.

لم تكن العلاقة بينهما بداية حب تقليدي، ولا قصة يمكن التنبؤ بمسارها . كانت أشبه باصطدام هادئ بين عالمين مختلفين، كل واحد منهما يحمل داخله ما يكفي ليدُمّره... أو ليُنقذه.

وفي هذه المدينة التي لا تعطي إجابات واضحة، بدأت الحكاية.

حكاية لم تكُتب لتكون سهلة... ولا لتنُسى بسهولة.

حكاية عن حبٍ وُلد من بين الشروخ، وعن ماضٍ لا يترك صاحبه، وعن قلبين لم يعرفا أن الاقتراب قد يكون أجمل أشكال الخطر.

وهكذا تبدأ القصة...

بين ما كان يجب أن يكون، وما لم يكن يمكن منعه.

الفصل الأول

كان مطار الخرطوم الدولي كعادته في الصباح الباكر: ضجيج متداخل بين نداءات السفر، أصوات الحقائب وهي تسُحب على الأرض، وروائح القهوة القادمة من الأكشاك الصغيرة المنتشرة عند الأطراف.

سلمى وقفت عند بوابة الوصول، تمسك هاتفها بيد وشنطة صغيرة باليد الأخرى. كانت تحاول أن تتصل مرة أخرى.

قالت بصوت منخفض فيه قلق: "يا رب يكون وصل..."

لكن الهاتف لا يرد.

رفعت عينيها ببطء نحو الزحام.

كانت غريبة في المكان، ليست من نوع الناس الذين يبدون واثقين عند الوصول.

ثم... شعرت بذلك الإحساس الغريب.

كأن أحَدًا ينظر إليها.

التفتت.

هناك، عند طرف الممر، كان يقف رجل.

ليس ملفتاً بشكل صاخب... بل بطريقة أخطر: هدوءه نفسه كان ملفتاً.

بدلة داكنة، وقفة ثابتة، ووجه لا يقُرأ بسهولة.

تلاقت العيون.

شعرت سلمى بشيء داخلي يقول لها: "انتبهي
..."

اقترب منها بخطوات محسوبة.

صوته كان منخفضًا: "سلمى؟"

أجابت بسرعة: "نعم..."

قال بهدوء رسمي: "أنا محمود... مفروض أستقبلك."

سكتت لحظة، ثم قالت: "تمام " لكن داخلها لم يكن
"تمام".

كان هناك ارتباك لا تفسير له.

ركبت السيارة معه.

الخرطوم خارج المطار كانت مزدحمة كالعادة: ركشات، بصات "هايس"، أصوات مناداة، حرّ شديد حتى في الصباح، وغبار خفيف يعلو الشارع.

سلمى كانت تنظر من الشباك.

أما محمود فكان يقود بصمت.

بعد دقائق قال: "أول مرة تجي السودان بظروف زي دي؟"

ردت: "نعم... كنت بجي زمان مع أهلي، لكن هالمرة مختلفة."

قال: "الغربة بتغير كل حاجة."

سكتت ثم سألته: "وأنت؟ ما سافرت برة؟"

أجاب بدون أن ينظر إليها: "سافرت... لكن ما لقيت حاجة تختلف."

سلمى التفتت إليه: "كيف يعني؟"

أجاب بعد لحظة: "نفس الناس... نفس الوحدة... بس أماكن مختلفة."

سكتت.

ثم قالت بصوت أخف: "إنت شكلك ما بتحب الكلًام كثير."

رد: "الكلًام ما دايمًا بيشرح."

نظرت إليه قليلًا ثم قالت: "لكن مرات بيريّح."

أجاب مباشرة: "ما اتعودت عليه."

ثم أضاف فجأة، بنبرة أخف: "معا ك الوضع مختلف شويّة."

توقفت سلمى عن الحركة للحظة.

لم تفهم لماذا هذه الجملة بالتحديد جعلت قلبها يتوتر.

وصلوا إلى الحي.

منزل بسيط في منطقة هادئة نسبياً، أصوات الجيران واضحة، أطفال يلعبون في الشارع .

سلمى وقفت عند الباب.

قالت: "الخرطوم ما زالت زي ما هي... ما بتتغير."

ابتسم محمود ابتسامة خفيفة: "هي ما بتتغير... الناس البتتغير."

نظرت إليه: "وأنت؟ تغيرت؟"

سكت قليلًا ثم قال: "لو قلت لا... بكون بكذب."

ثم أشار إلى الداخل: "ادخلي... أرتاحي."

لكنها شعرت أن "الراحة" ليست كلمة مناسبة في حضوره .

الفصل الثاني

وقفت سلمى عند باب البيت الكبير، حقيبتها بجانبها، وعينيها تتفحصان المكان ببطء.

بيت سوداني قديم نسبياً:

حوش واسع

أشجار ظل خفيفة

أصوات طيور

وأبواب خشبية تحمل آثار الزمن

زوجة عمها أمينة اقتربت منها بسرعة، واحتضنتها بقوة.

"نورتي يا سلمى... البيت ما كان ناقص غيرك"

ابتسمت سلمى ابتسامة متعبة: "أنا كمان حسيت إني رجعت بعد غياب طويل"

ضحكت سلمى لأول مرة منذ وصولها.

لكن خلف هذا الضحك... كانت هناك عينان تراقبان من بعيد.

كان واقفاً قرب الباب الجانبي .

لم يدخل في الضجيج.

لم يقترب.

فقط ينظر.

سلمى لم تلَحظه في البداية.

لكن حين التفتت صدفة...

توقف الزمن في لحظة قصيرة جِدًا.

نظرة واحدة.

لا ابتسامة.

لا كلمة.

لكنها كانت كافية لتربكها .

محمود لم يكن ابنا لأهل البيت، ولم يكن قريبا بالدم لكنه كان "ابن التجربة" .

قبل سنوات وبعد حياة قاسية في الشوارع، تعرف على كبير الحي "حسن" وهو رجل سوداني غني يعمل في التجارة، لم يرزقه الله نعمة الإنجاب ، كان معروفا بأنه يساعد الضائعين من الشباب ، خاصة من فقدوا أسرهم أو عاشوا في الشارع .

جمعته صدفة غريبة بمحمود، كان مطاردا من قبل جماعة مسلحة ، حالته كانت سيئة جدا ، أحتواه حسن في جزء منفصل من منزله وقدم له الدعم ، لم يكن يحمل أوراق ثبوتيه ، بلا عائلة معروفة، وبإسم قديم مختلف ، قرر حسن أن يعطيه فرصة ، ليس كخادم أو عامل بل ك"إبن تحت التجربة" زوجة حسن كانت متحفظة في البداية لكنها قبلت مع الوقت بسبب أنضباط محمود وهدوئه الشديد وأبتعاده عن المشاكل .

ومع مرور السنوات صار جزء من البيت ثم بدأ يعمل مع حسن في التجارة وأصبح يعتمد عليه .

بقى شخصا يعيش داخل البيت ولاينتمي بالكامل إليه.

لا أحد يسأله كثيرا عن ماضيه .. وهو لايفتح الباب له .

الفصل الثالث

أستيقظت سلمى بعد ساعات نوم عميق ومريح ، خرجت الى الحوش، حيث كان هناك ..

نساء الحي اللاتي

جئن للترحيب بها

يجهزن الغداء

صوت الملاعق

رائحة البامية والملوخية

شاي يغُلى على الفحم

سلمى تعرفت عليهن وجلست بينهن، تحاول أن تندمج.

قالت لزوجة عمها: "الجو هنا مختلف... في حاجة دافئة كدا"

ابتسمت المرأة: "الدفيء دا اسمو أهل يا بنتي" في تلك اللحظة،

مرّ محمود من الخلف.

قال بصوت خفيف: "وأحياناً نفس الناس البيدفّوك... هم البوجعو بعدين"

تجمدت سلمى.

التفتت إليه: "ليه بتقول كدا؟"

لكن هو لم يتوقف.

كأنه لم يقل شيئاً.

في المساء، انقطعت الكهرباء.

الحوش أصبح مضاء فقط بضوء خافت من الشارع.

الجميع جلسوا مع بعض.

ضحك، حديث، شاي.

سلمى جلست قرب عمها حسن .

وفجأة، جلس محمود على مسافة قصيرة منها.

صمت.

ثم قال دون أن ينظر: "إنتي جاية هنا عشان ترتاحي؟"

سلمى: "نعم... تقريباً"

محمود: "الراحة هنا فكرة صعبة"

سلمى التفتت إليه: "ليه كل كلامك كدا؟ مليان غموض وتشاؤم"

صمت طويلًا.

ثم قال: "لأنو الحياة كده "

سلمى: "غلطان، الحياة فيها حاجات حلوه "

نظر إليها أخيرًا: "أنا ما لقيت حاجه حلوه غير في البيت ده"

قاطعهما حسن " محمود عاش حياة قاسية جدا ياسلمى ، كل منكما يرى الحياة من زاويته الخاصة أنتي نشأتي في أمريكا وكل شئ كان تحت أمرك أما هو فلا "

تساءلت سلمى:" الحصل ليه شنو يعني ؟ "

رد محمود بصوت مخنوق :" قولي الما حصل شنو ياسلمى أنا ما عرفت إني أنسان غير هنا"

أعترضت أمينة" : لاتاخذي أبني محمود على محمل الجد .. هو دوما يتحدث هكذا"

أضاف محمود ضاحكا " : لاتفعلي ذلك مرة اخرى يا أمي .. أنا أصبح أيجابي بسببك.. لقد تحسنت كثيرا"

ردت أمينة وهي تنظر إليه بحنان : " وستصبح أفضل بكثير يا طفلي ،قلبك الجميل هذا يستحق كل ما هو جميل"

أنحنى يقبل جبين أمينه وقد تلألأت الدموع في عينيه ، قالت أمينة وهي تنظر الى سلمى :

"وأنتي أيضا ياصغيرتي لاتقلقي، سيمر كل هذا ، أعلم أن موت أمك كسرك لكن ستكونين بخير أنا هنا ، وعمك، ومحمود، سنكون معك وسنتخطى كل هذه الصعوبات معا."

كان حنان أمينة يكفي العالم أجمع لا هما فقط ، هي أمرأة رائعة جدا تعمل طبيبة في المستشفى العام إضافة الى عملها في عيادتها الخاصة في الفترات المسائية.

في تلك الليلة، بعد أن نام الجميع...

سلمى خرجت للحوش.

كانت لا تستطيع النوم.

وجدته هناك.

واقف قرب الباب، ينظر للسماء.

سكتت لحظة ثم قالت: "أنت ما بتنوم؟"

رد دون أن يلتفت: "النوم أحيانًا بكون أخطر من الصحو"

سلمى: "إنت دايمًا كلامك ألغاز"

التفت إليها أخيرًا.

وقال: "وأنتي دايمًا بتفتحي أسئلة ما لها إجابات سهلة"

صمت.

ثم قالت بهدوء: "أنت خايف من
الأسئلة مالك"

توقف.

نظر إليها مليا .

ثم قال بصوت منخفض جًدًا: "المشكلة... أنا خايف منك إنتي"

الهواء كان ساكناً.

النيل بعيد، والمدينة نائمة جزئياً.

بينهما مسافة صغيرة جًدًا... لكنها مليئة بشيء أكبر من الكلمات.

سلمى قالت: "ليه بتخاف مني؟"

محمود: "لأنك أول حاجة بحس معاها إني ممكن أخسر نفسي"

صمت فترة ، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة جًدًا، حزينة: "وأنا طول عمري بخاف من كدا"

سلمى لم ترد.

تركته وذهبت الى غرفتها مسرعة وكأنها تهرب من كلماته الغريبة مثله.

الفصل الرابع

في الليل، كان محمود على سطح المنزل.

الهواء دافئ، والمدينة تحتهم مليئة بأصوات بعيدة.

جلس على كرسي بلا حركة.

يتذكر.

طفولته في الحي القديم. الشارع. الأيام التي كان فيها لا أحد يسأل عنه.

يهمس لنفسه: "الناس بتمشي... حتى لو وعدت إنها بتبقى."

ثم تذكّر سلمى.

صوتها وهي تتكلم بلا خوف. نظرتها التي لا تحمل حسابات.

يضغط على يده بقوة.

يقول: "دي لازم تبعد... دي ما ذي الناس البعرفهم."

لكن قلبه لم يوافق.

بل كان لأول مرة... يعارضه.

في الصباح، خرجت سلمى إلى السوق القريب.

سوق شعبي في الخرطوم: أصوات الباعة، روائح البهارات، ازدحام شديد، نساء يتحدثن ، وضحك بين الجيران.

كانت تحاول شراء بعض الأشياء.

فجأة... ظهر محمود.

قال مباشرة: "أنتي طلعتي ليه بدون ما تقولي؟"

رفعت حاجبها: "أنا محتاجة أشتري حاجات... ما لازم أستأذن."

رد بنبرة جادة: "المنطقة هنا ما آمنة كفاية."

ضحكت بخفة: "وأنا جاية من وين؟ من القمر؟"

نظر إليها بجدية: "أنا ما بهزر."

اقترب خطوة: "ما عايزك تتعبي نفسك."

سكتت لحظة،

ثم قالت: "أنت غريب... مرة بتعاملني رسمي، ومرة كأنك مسؤول مني."

صمت.

ثم قال بصوت أقل: "يمكن لأنو ما عارف أتعامل معا ك كيف."

هذا الرد لم يكن مريحًا لها.

ولا له.

الفصل الخامس

في تلك الليلة، جلست سلمى قرب النافذة.

الهواء القادم من الخارج يحمل أصوات المدينة.

كانت تفكر فيه.

تقول لنفسها: "أنا ما المفروض أفكر فيه كدا... أنا ما بعرفه كويس."

لكن صورتهُ لا تختفي .

محمود كان يجلس وحده في غرفته.

مصباح ضعيف، مروحة تدور بصوت متقطع، ونافذة مفتوحة على شارع شبه هادئ.

لكن داخله لم يكن هادئاً أبَدًا.

أغلق عينيه... وبدأ الماضي يعود.

طفل صغير يركض حافياً في شارع ترابي.

صوت رجل يصرخ: "يا ولد! تعال هنا!"

لكن الولد لا يتوقف.

ليس لأنه شجاع... بل لأنه تعلّم أن الوقوف يعني الألم.

ثم مشهد آخر:

ليلة باردة، كرتونة بدل السرير، وجوع لا يقُال.

يهمس لنفسه وهو صغير: "بكرة بكون أحسن... لازم أكون أقوى."

لكن "بكرة" كانت تتأخر دائمًا.

فتح محمود عينيه فجأة.

تنفس ببطء.

قال بصوت منخفض كأنه يخاطب نفسه: "أنا ما اتخلقت عشان أحب... أنا اتخلقت عشان أتحمل."

لكن صورة سلمى ظهرت فورًا.

ضحكتها، صوتها في السوق، نظرتها التي لا تخاف منه.

يضرب الطاولة بخفة: "ليه إنتي

بالذات؟" ثم يهمس: "ليه ما بخليكي في

حالك؟" لكن الإجابة لم تكن موجودة.

في الصباح، خرجت سلمى مع زوجة عمها للسوق الكبير.

السوق كان مزدحمًا كعادته: ركشات تمر بسرعة، باعة ينادون .

سلمى كانت تمشي بحذر بين الناس.

قالت لزوجة عمها: "السوق هنا دايمًا كدا؟"

ضحكت أمينة: "أيوة يا بنتي... الخرطوم ما بتتغير، بس الزحمة بتزيد."

في زاوية السوق، اشترت خبز ولبن.

وفجأة سمعت صوتاً خلفها:

"قلت ليك ما تطلعي بدون ما تقولي."

التفتت بسرعة.

محمود.

كان واقفاً، وجهه جاد، لكن عينيه فيها شيء مختلف هذه المرة... قلق.

قالت بانزعاج: "إنت متابعني؟" رد: "لا... أنا

كنت جاي نفس المكان."

سكتت لحظة ثم قالت: "يعني صدفة؟"

قال ببرود: "في الخرطوم ما في صدفة كتيرة."

ثم أضاف: "خصوصًا مع الناس الغريبين علي."

نظرت إليه: "أنا غريبة عليك؟"

سكت.

ثم قال: "أحيانًا... نعم." لكن

صوته لم يكن قاسياً كما يبدو.

كان مرتبكًا.

وهذا ما أخافه أكثر.

الفصل السادس

في المساء، كان الجو خانقاً قليلًا ، كالعادة أمينة في العيادة وحسن يرتاح في غرفته، لا أحد غيرهما يشعر بالفراغ والملل الذي باتت جلسات الحوش المسائيه تبدده.

سلمى كانت تقطع صمتها بصوت ملعقة تضرب كوب شاي.

محمود خرج بهدوء.

جلس بعيًدًا.

لم يتكلم.

هي قالت: "أنت دائمًا ساكت كدا؟" رد

دون أن ينظر إليها: "السكوت أريح."

سكتت ثم قالت: "لكن أحيانًا بيخلي الناس تفهمك غلط."

التفت إليها ببطء: "وأنتي فاهمة إني شنو؟"

توقفت.

ثم قالت بصراحة: "ما عارفة... مرة بحس إنك قاسي... ومرة بحس إنك... تعبان."

قال بصوت منخفض جِدًا: "التعب ما ظاهر للناس." سلمى نظرت إليه أكثر: "ليه ما بتخلي الناس تقرب؟"

ضحك ضحكة قصيرة بـلا فرح: "لأن كل مرة قرّبت فيها... خسرت."

سكتت.

هذه المرة لم ترد.

لأنها شعرت أن الحديث ليس عن الماضي فقط... بل عن خوفه منها هي أيضًا.

التيار الكهربائي مقطوع.

المكان مضاء بضوء شمعة صغيرة.

صوت المولدات من بعيد.

قال دون أن ينظر: "لو حصل ليك أي حاجة هنا... أنا المسؤول."

ردت بسرعة: "ليه ! أنت مسؤول عني؟"

التفت إليها لأول مرة بنظرة طويلة.

ثم قال: "ما عارف... لكن حاسس كدا."

سكت.

ثم أضاف بصوت أخفض: "أنتي مختلفة... ودا خطر." ضحكت بخفة: "أنا خطر؟"

رد بجدية: "نعم... عليّ أنا."

هذه الجملة لم تكن مجرد كلمات كانت اعترافاً غير مكتمل.

الفصل السابع

في اليوم التالي، جاء أحد شباب الحي لزيارتهم.

شاب لطيف، كثير الكلام، يضحك بسهولة.

جلس بجانب سلمى في الحوش .

قال لها: "أول مرة أشوف زول جاي من بره السودان ويكون متأقلم كدا."

ضحكت: "لسه ما تأقلمت كويس."

كان محمود يراقب من بعيد.

صامت.

لكن وجهه تغير.

لم يكن واضحًا... لكنه أصبح أكثر قسوة.

الشاب قال: "لو احتجتي أي حاجة، أقدر أوريك أماكن الخرطوم الحلوة."

سلمى: "شكرًا، أكيد." في تلك اللحظة، وقف محمود.

جاء بهدوء.

لكن صوته كان حاسمًا: "هي ما محتاجة جولات."

سكت الجميع.

سلمى التفتت إليه: "إنت مالك؟"

نظر للشاب ثم قال: "الموضوع انتهى."

الشاب شعر بالحرج وانصرف.

سلمى وقفت: "إنت بتتصرف كأنك وصي علي!"

رد بصوت منخفض لكنه حاد: "لأنك ما عارفة الناس هنا."

اقتربت خطوة: "ولا أنت عارفني أنا."

صمت.

هذه الجملة أصابته أكثر مما أظهرت.

الفصل الثامن

في الخرطوم، الليل لا يأتي فجأة... بل يتسلل ببطء، كأنه يتردد قبل أن يغطي المدينة.

في ذلك المساء، كان الهواء ثقيلًا، محملًا برائحة تراب ساخن امتزج بدخان مولدات الكهرباء.

داخل الحوش، جلست سلمى على كرسي بلاستيكي بسيط، تراقب السماء.

لا نجوم كثيرة الليلة.

أو ربما هي لا تراها.

كان ذهنها مشغولًا بشيء واحد فقط... محمود.

منذ لحظة وقوفه أمام الشاب في الحوش، وهي تحاول أن تفهم: لماذا يتصرف هكذا؟

لماذا يغضب من أشياء لا تخصه؟

ولماذا حين ينظر إليها... تشعر أن خلف عينيه حرباً كاملة؟

سمعت خطوات خلفها.

لم تلتفت.

كانت تعرف أنها هو.

محمود.

جلس على الكرسي المقابل، بدون أن يتكلم أولًا .

مرّت ثوانٍ طويلة من الصمت.

صمت ليس مريحًا... بل مشحوناً.

ثم قالت سلمى أخيرًا، بنبرة هادئة لكن فيها عتاب واضح: "إنت ليه دايمًا بتتصرف كأنك مسؤول مني؟"

لم يرد فورًا.

كان ينظر للأرض، كأنه يبحث عن إجابة هناك.

ثم قال بصوت منخفض جِدًا: "ما عارف."

رفعت حاجبها: "يعني شنو ما عارف؟"

أخذ نفسًا عميقًا.

ثم قال: "كل مرة أحاول أكون عادي... أرجع ألقى نفسي بتصرف بدون ما أفكر."

سلمى سكتت.

هذا ليس الرد الذي توقعته.

أكمل بصوت أثقل: "أنتي ما عارفة النوع البعيش في الشارع... النوع البيتعود ما يثق في أي زول..."

رفع نظره إليها لأول مرة.

"أنا ما عندي حاجة اسمها رد فعل طبيعي."

سكت.

ثم أضاف: "بس معاك ... الموضوع مختلف."

هذه الجملة جعلت قلبها يتوقف لحظة.

الفصل التاسع

في اليوم التالي، خرجت سلمى إلى السوق وحدها.

هذه المرة لم تخبر أحَدًا.

كانت تريد أن تثبت لنفسها أنها ليست محاصرة.

لكن الخرطوم... لا تقُرأ بسهولة.

في السوق، أصوات الباعة كانت أعلى من المعتاد .

كانت تمشي بين الزحام، تحاول التركيز على شراء احتياجات بسيطة.

لكن فجأة... شعرت بيد تمسك ذراعها.

التفتت بسرعة.

محمود.

لكن هذه المرة لم يكن غاضباً... كان قلقًا بشكل واضح.

قال بسرعة: "إنتي بتعملي شنو هنا

براك؟" سحبت يدها: "أنا ما طفلة."

اقترب خطوة: "السوق دا زحمة وخطر."

رفعت صوتها قليلًا : "وأنا ما محتاجة حماية منك!"

صمت.

هذا الصمت كان مختلفًا.

لم يكن برودًا... بل ألمًا.

ثم قال بهدوء: "أنا ما بحميك عشان أفرض نفسي."

سكت.

ثم أضاف: "أنا بحاول أمنع نفسي من إني أفقدك."

تجمدت سلمى.

الناس حولهم يمرون، لكن الوقت بينهم توقف.

قالت بصوت منخفض: "تفقدني؟ ليه أصلًا أنا بالنسبة ليك شنو؟"

نظر إليها طويلًا.

هذه المرة لم يهرب.

ثم قال بصوت واضح، ثقيل، صادق: "أنتي الحاجة الوحيدة البتخليني ما أكون زي ما كنت."

الفصل العاشر

في تلك الليلة، لم يستطع محمود النوم.

كان في غرفته، الضوء خافت، وصوت المكيف مزعج.

فتح درجًا صغيرًا.

أخرج ورقة قديمة... ثم توقف.

أغلق عينيه.

صوت في ذاكرته يعود:

"الزول دا ما تثقوا فيه... دا ما عنده أهل..."

"الشارع رباه... والشارع ما برحم."

فتح عينيه بسرعة.

قال بصوت منخفض: "أنا ما داير الماضي يرجع."

لكن المشكلة أن الماضي... لم يكن خلفه فقط.

كان يقترب منه.

وخاصة الآن... بعد أن دخلت سلمى حياته.

في صباح اليوم التالي، كان الجو مختلفاً.

سلمى لاحظت أنه صامت أكثر من المعتاد.

ليس البرود المعتاد... بل غياب.

جلست أمامه: "أنت ما كويس اليوم."

لم يرد.

اقتربت: "محمود... أنا بتكلم معاك."

رفع عينيه ببطء.

قال بصوت مكسور لأول مرة: "في ناس ما بتستحق تقرب منها."

سكت.

ثم أضاف: "وأنا واحد منهم."

سلمى هزت رأسها: "منو القال الكلام دا؟"

ابتسم بسخرية: "الحياة."

سكتت.

ثم قالت بهدوء: "الحياة ما بتقرر شنو تستحقه... نحن البنقرر."

نظر إليها طويلًا .

وكأنه لأول مرة يسمع شيئاً جديًدًا .

المسافة بينهما أقل من قبل... لكن التوتر أكبر.

محمود تكلم أخيرًا: "لو قلت ليك أبعدي عني... حتعملي شنو؟"

سلمى التفتت إليه بسرعة: "ليه أعمل كدا؟"

قال: "لأني ما مناسب ليك ."

سكت.

ثم أضاف: "أنا ما عندي أمان... ما عندي استقرار... وما عندي حاجة أقدمها ليك ."

سلمى اقتربت خطوة.

قالت بصوت واضح لأول مرة: "وأنا ما دايرة منك أمان ولا فلوس."

سكت.

اقتربت أكثر: "أنا دايرة الصدق."

صمت طويلًا جدًا.

ثم قال بصوت منخفض، كأنه يعترف لأول مرة بشيء يخافه: "أنا بدأت أحس بيك ... ودا مخوفني."

سلمى لم ترد مباشرة.

لكن عينيها قالت كل شئ.

الفصل الحادي عشر

الخرطوم كانت ساكنة بشكل غير معتاد.

كأن المدينة نفسها تحبس أنفاسها.

في الحوش، كانت سلمى تجلس على الكرسي نفسه، لكن هذه المرة لم تكن تنظر للسماء. كانت تنظر إليه.

كان واقفاً عند طرف الحوش، يده في جيبه، وعينيه لا تستقران على شيء.

مرة على الأرض... مرة على الباب... ثم تعودان إليها.

الصمت بينهما لم يعد مريحًا.

بل أصبح ثقيلاً ... كأنه شيء ينتظر أن ينفجر.

سلمى قالت أخيرًا بصوت هادئ: "إنت بتتهرب مني ولا من نفسك؟"

لم يرد مباشرة.

سحب نفسًا طويلًا .

ثم قال: "أنا ما عارف أكون شنو معاك ."

اقتربت خطوة.

"إنت ما محتاج تعرف تكون شنو... أنت بس كون صادق معاي"

رفع نظره إليها.

هذه المرة كان التعب واضحًا في عينيه.

قال: "أنا لو قلت ليك الحقيقة... ممكن أدمرك."

سكتت.

ثم ردت بهدوء شديد: "جرّب."

هذا الرد كان كافياً لكسر شيء داخله.

اقترب خطوة.

ثم خطوة أخرى.

حتى أصبح قريبًا جِدًا... أقرب من أي وقت مضى.

وقال بصوت منخفض، كأنه يعترف لأول مرة في حياته: "أنا بحس بيك ... بطريقة ما مفهومة لي." "أنتي داخلة في حياتي بدون إذن... وبدون ما أقدر أوقفك." "وكل مرة أحاول أبعد... بلّقي نفسي برجع."

سكت لحظة.

ثم أضاف: "أنا ما عارف دا حب... ولا شنو... لكنو بيكسرني."

سلمى لم تتحرك.

لكن عينيها اهتزت.

ثم قالت بصوت خافت: "وأنا؟"

سكت.

فأكملت: "أنا من أول يوم حسيت إنك مختلف... حسيت إنك شايل حاجة تقيلة..." "لكن كمان... حسيت إني بقدر أكون جنبك." اقتربت أكثر.

أصبحت المسافة بينهما شبه معدومة.

وقالت: "أنا ما بخاف منك يا محمود."

هذه الجملة كانت أخطر من أي اعتراف.

في تلك اللحظة... لم يعد محمود قادرًا على المقاومة.

كل الجدران التي بناها داخله منذ الطفولة بدأت تتصدع دفعة واحدة.

تنفس بسرعة.

ثم قال بصوت منخفض جِدًا: "أنا ما متعود على كدا..."

سلمى رفعت يدها قليلاً، لكنها لم تلمسه: "على شنو؟"

"على إنو زول يقرب كدا بدون ما يطلب حاجة... بدون ما يخدعني... بدون ما يمشي." صمت.

ثم فجأة قال: "أنا ما عايز أخسرك."

هذه الجملة خرجت منه بشكل لم يقصده.

لكنها كانت الحقيقة.

سلمى همست: "ما حتخسرني."

نظر إليها.

ثم لأول مرة... اقترب فعلا .

ليس كحارس... وليس كقاسي... بل كرجل منهك.

وقال: "أنا لو حبيتك... حتتحملي العيشة مع زول زيي؟"

ردت بدون تردد: "أنا ما دايرة نسخة مثالية منك... أنا دايراك أنت."

في تلك اللحظة... انكسر شيء أخير في داخله.

اقترب أكثر.

ثم توقف عند لحظة صمت طويلة جِدًا.

وقال بصوت منخفض: "أنا بحبك..."

كلمتان فقط.

لكنهما كانتا كافيتين لقلب كل شيء.

الفصل الثاني عشر

في الخرطوم، حين يهدأ النهار قليلاً ويبدأ المساء بالانبساط على المدينة، يتحول شارع النيل إلى مساحة مختلفة تمامًا عن بقية المدينة. ليس شارعًا فقط... بل مكان يهرب إليه الناس من تعبهم، من حرّ النهار، ومن ضجيج الحياة.

في ذلك اليوم، كان الهواء أخف قليلاً، وكأن النيل قرر أن يهدئ مزاج المدينة.

لم يكن الخروج مخططًا بشكل واضح.

كان بسيطًا... جملة قالها محمود دون تفكير:

"لو عاوزه تشوفي الخرطوم الحقيقي... أمشي شارع النيل"

سلمى ردت بسرعة: "وأنت حتمشي معاي؟"

توقف لحظة.

ثم قال: "ما عندي مانع"

لكن في داخله... كان هذا "المانع" أكبر من أي كلمة.

في الطريق، كانت الخرطوم تتحرك أمامهم:

ركشات تمر بسرعة باعة على
الأرصفة ينادون أطفال
يركضون بين السيارات
وأصوات متداخلة لا تهدأ سلمى
كانت تنظر من النافذة.
قالت: "المدينة دي فيها حياة غريبة... كأنها ما بتوقف"
محمود: "هي ما بتوقف فعلاً ... بس الناس بتتعب
جواها" سكتت.
ثم التفتت إليه: "وأنت تعبت؟"
لم يجب مباشرة.
لكن عينيه قالت الإجابة قبل صوته.
النيل كان هناك... واسع، هادئ، كأنه لا علاقة له بكل ما يحدث في المدينة.
جلسوا في قهوة بسيطة مطلة على الماء.
كرسيان، طاولة بلاستيك، وكوبين شاي.
سلمى تنظر للماء: "ما توقعت الخرطوم تكون جميلة كدا هنا"
محمود: "الجمال هنا ما ظاهر للناس "
سلمى بابتسامة خفيفة: "إنت ليه دايمًا بتخلي كل حاجة فيها معنى عميق؟"
نظر إليها: "لأن السطح ما بيعني لي حاجة"
صمت قصير.
ثم قالت: "طيب... قول لي حاجة بسيطة عن نفسك"
توقف.

هذا السؤال كان أصعب مما يبدو.

محمود: "ما عندي حاجات بسيطة"

سلمى: "كل الناس عندها"

هز رأسه: "أنا ما زي كل الناس"

سلمى: "أنا شايفة كدا... لكن ما عارفة السبب"

صمت طويل.

ثم قال بصوت أخف: "أنا اتعلمت ما أثق في أي زول"

سلمى: "حتى في نفسك؟"

توقف.

هذه الجملة أصابته في مكان لم يتوقعه.

المساء بدأ يهبط.

ضوء الشمس انعكس على النيل بلون ذهبي.

سلمى كانت تراقب الماء.

ثم قالت فجأة: "أنا حسيت إني مرتاحة هنا... معاك"

محمود التفت بسرعة: "ما تقولي الكلام دا بسهولة"

سلمى: "ليه؟"

محمود: "لأنو بيعمل مشاكل"

سلمى: "أنا ما بخاف من المشاكل"

نظر إليها طويلا .

ثم قال بصوت منخفض جِدًا: "أنا بخاف منها... خصوصًا لو كانت إنتي

"

الهواء أصبح أثقل.

أصوات القهوة حولهم اختفت في الخلفية.

كأن المكان أصبح فقط لهما.

سلمى قالت: "ليه أنا؟"

سؤال بسيط... لكنه كسر كل دفاعاته.

محمود: "ما عارف"

ثم أضاف: "بس في حاجة جواي بتسحبني ليك ... وأنا ما قادر أوقفها"

سلمى لم تتكلم.

لكن عينيها تغيرت.

بينما هما جالسان، مر شاب من القهوة.

قال لسلمى بابتسامة: "مساء الخير... ممكن أجيب ليك حاجة؟"

سلمى: "لا شكرًا"

الشاب ابتسم ومشى.

محمود... لم يرفع عينيه من النيل.

لكن يده شدّت على الكوب.

سلمى لاحظت.

قالت بابتسامة خفيفة: "إنت غرت؟"

محمود ببرود: "ما عندي سبب"

سلمى: "لكن شكلك كان واضح"

التفت إليها: "أنا ما بحب أي زول يقرب منك بدون سبب"

الليل بدأ يكتمل.

قال محمود فجأة: "لو الزمن رجع... كنت حأختار أبعد من البداية"

سلمى: "ليه؟"

محمود: "لأنو القرب منك خطر"

سلمى اقتربت قليلاً : "خطر علي منو؟" صمت.

ثم قال: "عليّ أنا"

أضاف وهو ينظر للنيل: "أنا ما عارف الحاصل شنو بينا... لكن دا ما شيء عادي"

سلمى : "وأنا ما دايرة شيء عادي"

التفت إليها.

نظرة طويلة.

ثم قال: "دا أخطر جواب ممكن تسمعيه"

ومشوا.

لكن شيئاً بينهم لم يعد كما كان قبل هذا اليوم.

الفصل الثالث عشر

بدا وسيما في بنطال الجينز الأنيق والقميص الأبيض الذي ترك أزراره العلوية مفتوحة ليبدو أكثر رجولة وإثارة. وقف أمام باب غرفتها متسائلًا وكأنه لم يأت لها:

"سلمى... أنا ذاهب إلى مول عفراء، يمكنك مرافقتي إذا كنت ترغبين في شراء شيء."

كانت تحمل رواية بين يديها عندما رفعت عينيها إليه بإعجاب شديد، وهي تهز رأسها بغباء خفيف لا يخلو من الدهشة. بدا ساحرًا جَدًا، كأنه خرج لتوه من صفحات الرواية الرومانسية التي كانت تقرأها قبل لحظات. ملأت رائحة عطره المكان، حتى شعرت أن الهواء نفسه تغيرّ.

توجهت مسرعة إلى خزانة ثيابها، اختارت فستاناً بسيطًا أزرق، ووشاحًا بنفس اللون. مرت به في طريقها إلى الحمام، فتعمد أن يترك لها مساحة ضيقة للمرور، لدرجة أن أجسادهما تلامست للحظة قصيرة أربكتها قبل أن تختفي خلف الباب.

خرجت بعد دقائق، وقد بدا عليها ارتباك خفيف لم تستطع إخفاءه، بينما كان هو ينتظرها خارج المنزل عند السيارة.

صعدت إلى المقعد الآخر قربه، لم يستطع إخفاء نظراته لها، وكأنه يراها لأول مرة أو كأنه سيبتلعها بعينيه قبل أن يتكلم. ثم أخيرًا قاد السيارة.

في الطريق، كان يدندن بفرح أغنية للفنان عصمت بكري:

"سوقيني معاك من دنيا الناس لعالم تاني ملان إحساس

سوقيني بغمض ليك عيني بهديك العمر الفاضل لي

نتمشى في غيمة ومتماسكين ما بسأل قلبك ماشين وين

بس بمشي معاك وأنا كلي يقين إننا ماشيين عالم عينيك"

كان صوته منخفضًا، لكنه ممتلئ بشيء دافئ يجعل الكلمات تبدو كأنها موجّهة لها وحدها.

سلمى التفتت إليه بابتسامة خفيفة وقالت: "إنت اليوم فرحان شديد... ولا دا مجرد تمثيل؟"

ابتسم دون أن يبعد نظره عن الطريق: "ما في تمثيل مع الموسيقى... ولا معاك "

سكت لحظة، ثم أضاف بهدوء: "الغريب إنو أنا ما عارف ليه مبسوط... بس وجودك قريب كفاية يخلي كل حاجة أخف"

صمتت سلمى، لكنها لم تبُعد عينيها عنه هذه المرة.

الطريق كان مزدحمًا، لكن داخل السيارة كان هناك شيء مختلف تمامًا... كأنهما منفصلان عن الخرطوم كلها.

قالت بعد لحظة: "إنت بتخلي الكلام دا كله طبيعي... مع إنو مش طبيعي"

أجاب بصوت هادئ: "يمكن لأنك إنتي كمان مش طبيعية في حياتي"

عند وصولهما إلى مول عفراء، توقف محمود، ثم نزل أولًا وفتح لها باب السيارة بنفسه.

وللحظة قصيرة جِدًا، حين نزلت سلمى، كانت المسافة بينهما أقرب مما ينبغي.

قرب أربك الهواء قبل أن يربك القلوب.

همس: "جاهزة؟"

قالت وهي تحاول أن تبدو طبيعية: "جاهزة لشنو بالضبط؟"

ابتسم ابتسامة خفيفة، وقال: "للشيء البخليك تنسي إنك في الخرطوم شوية"
داخل المول، كانت الأضواء أكثر هدوءًا من الخارج، والناس تتحرك ببطء مختلف.

لكن محمود لم يكن ينظر للمكان... كان ينظر لها.

وهي كانت تتظاهر بأنها لا تلاحظ، لكنها كانت تشعر به في كل خطوة، في كل توقف، في كل التفاتة.
كلما توقفت أمام متجر، كان يقف خلفها مباشرة.

كلما تحركت، تحرك معها.

وكلما رفعت يدها لشيء، كانت تشعر أنه أقرب مما يجب.

وقفت أمام مرآة كبيرة داخل أحد المتاجر، تنظر إلى نفسها بالفستان الأزرق والوشاح.

كانت تبدو مختلفة... أقرب إلى صورة لا تشبه يومها العادي.

وخلفها، كان هو واقفاً دون كلام.

لكن نظراته كانت كافية لتجعلها تدرك أنه لا يرى الفستان فقط... بل يراها هي.

قال بصوت منخفض: "الفستان دا عليك... كأنه اتعمل ليك مخصوص"

لم تلتفت فورًا، لكنها شعرت بالجملة داخل صدرها قبل أذنها.

قالت بخفوت: "إنت بتبالغ"

اقترب خطوة واحدة فقط، دون أن يلمسها، وقال: "أنا ما ببالغ... أنا لأول مرة بكون صادق لدرجة مخيفة"

ساد صمت ثقيل بينهما.

ثم قال، وكأنه يعترف بشيء لا عودة منه: "أنا ما جبتك المول عشان تشتري حاجة"

رفعت عينيها إليه بسرعة: "يعني شنو؟"

اقترب أكثر، لكن بقي بينهما نفس المسافة التي لا تكُسر بسهولة.

قال بصوت أهدأ: "جبتك عشان أشوفك... في مكان ما فيهو زحمة... عشان أقدر أتنفس وأنتي قدامي"

توقفت للحظة، كأن الكلمات لم تجد طريقها بسهولة إلى قلبها.

ثم سألت بهدوء: "وإنت متأكد إنك عايز تقرب كدا؟"

نظر إليها طويلاً، هذه المرة بلا هروب، بلا تردد.

وقال: "أنا ما بقيت أقدر أختار أبعد"

وفي تلك اللحظة، لم يعد المول مولًا، ولا الخرطوم مدينة، ولا الوقت وقتاً عادياً.

كان هناك فقط شخصان... ومسافة قصيرة جِدًا بين قلبين، بدأت تختفي ببطء دون أن يلاحظا متى بدأت.

الفصل الرابع عشر

في الطريق داخل المول، كان الصمت بينهما مختلفاً هذه المرة... ليس صمت ارتباك، بل صمت ممتلئ بكلمات لم تُقل بعد.
عند بوابة السينما، أخرج محمود التذاكر من جيبه وكأنه كان يخطط لكل شيء منذ البداية. رفعت سلمى حاجبيها بدهشة خفيفة: "يعني الموضوع كله كان مرتب؟"

ابتسم بهدوء دون أن يجيب مباشرة، ثم قال: "كنت عارف إنك بتحبي الأفلام الرومانسية... أو على الأقل خمنت."

هزّت رأسها وهي تحاول أن تخفي ابتسامة صغيرة خانتها في النهاية.

دخلا إلى صالة السينما، الأضواء خافتة، والصفوف شبه ممتلئة، لكن مقعديهما كانا في زاوية هادئة كأنها اختيرت بعناية لتكون بعيدًا عن كل العالم.

جلسا، وما إن بدأ الفيلم حتى استقر الصمت بينهما من جديد... لكن هذه المرة، كانت يداهما قد التقتا دون اتفاق.

في البداية كان التلامس بسيطًا، كأن كلاهما يتأكد أن الآخر حقيقي. ثم، ببطء شديد، تشابكت الأصابع... دون كلام، دون سؤال.

على الشاشة، كان الفيلم يحكي عن حبٍ يولد من الصدفة، عن شخصين يهربان من وحدتهما ليجدا بعضهما.

لكن سلمى لم تكن تتابع الفيلم تمامًا... كانت تتابع نبض يدها في يده.

التفت محمود نحوها مرة قصيرة، في ضوء الشاشة المتغير، وقال بصوت منخفض جَدًا لا يكاد يسُمع: "أحس إن الفيلم ماشي في حياتنا نحن، ما العكس."

لم ترد فورًا، فقط ضغطت على يده بخفة، وكأنها تقول كل شيء دون كلمات.

ومع مرور الوقت، أصبحت المسافة بينهما في المقعد شيئاً بلا معنى... كأن العالم كله تقلّص ليصبح مجرد شاشة أمامهما ويدين متشابكتين في الظلام.

بعد انتهاء الفيلم، ومع تصفيق خفيف في القاعة، بقيا جالسين للحظة بعد أن بدأ الناس يغادرون.

لم يتحركا مباشرة.

كانت سلمى تنظر إلى الشاشة التي بدأت تظُلم تدريجياً، ثم قالت بصوت هادئ: "أغرب حاجة... إنو الفيلم خلص، بس أنا حاسة إنو في حاجة لسه بدأت."

نظر إليها محمود طويلا، وكأنه يحاول حفظ ملامح هذه اللحظة بكل تفاصيلها، ثم قال: "يمكن لأننا ما كملنا قصتنا لسه."

وقف أخيرًا، ومدّ يده لها كأنها أمر طبيعي لا يحتاج تفكير.

أمسكتها هذه المرة دون تردد.

وعند خروجهم من السينما داخل مول عفراء، كانت الأضواء أكثر سطوعًا، والضجيج يعود تدريجياً، لكن شيئاً داخلهما كان قد تغيّر.

في الخارج، الهواء كان أبرد قليلا.

سلمى قالت وهي تمشي بجانبه: "تفتكر الحاجات الجميلة دي بتستمر؟"

توقف محمود لحظة، ثم أجاب بهدوء: "لو اتنين قرروا ما يضيعوها... بتستمر."

لم تجب، لكنها لم تترك يده.

ومشيا معاً... كأن الخرطوم كلها صارت أهدأ قليلا مما كانت عليه قبل ساعات.

كانا يسيران خارج السينما داخل الممرات الهادئة، وصوت خطوات الناس حولهما يبدو بعيِّدًا كأنه لا يخصهما.

محمود لم يترك يدها، ولم تحاول سلمى سحب يدها أيضًا... وكأن كلاهما اتفق بصمت غير معلن على أن هذه اللحظة لا تكُسر.

قالت سلمى وهي تنظر للأمام: "غريب... أنا الليلة حاسة إني ما عايزة أرجع البيت بسرعة."

ابتسم محمود دون أن ينظر إليها مباشرة: "يعني نضيع شوية في الطريق؟"

رفعت عينيها نحوه: "أو نطوّل الطريق ."

سكت لحظة، ثم ضغط على يدها بخفة وقال: "اتفقنا."

خرجا إلى الخارج، حيث الهواء الليلي أكثر هدوءًا، وأضواء المدينة أقل حدة مما داخل المول. فتح لها باب السيارة كعادته، لكنها هذه المرة توقفت لحظة قبل أن تدخل.

نظرت إليه وقالت: "إنت دايمًا بتخطط لكل حاجة؟"

اقترب قليلا، وقال بهدوء: "مش كل حاجة... في حاجات بكون بس عايز أعيشها زي ما هي."

لم ترد، لكنها دخلت السيارة هذه المرة وهي تشعر أن الكلمات ليست كافية لشرح ما بداخلها.

قاد السيارة ببطء، لا كأنه مستعجل للعودة، بل كأنه يؤجل النهاية عمَدًا. الراديو كان يعمل بصوت منخفض، وأغنية هادئة تملأ الفراغ بينهما.

سلمى قالت فجأة: "لو ما قابلتك النهارده... كنت هتعمل شنو؟"

فكر قليلاً، ثم أجاب: "ما كنت هبقى بنفس الهدوء دا."

التفتت إليه: "يعني وجودي بيأثر عليك كدا؟"

ابتسم: "أكتر مما تتخيلي."

ساد صمت قصير، لكنه لم يكن صمتاً ثقيلاً هذه المرة... بل صمت دافئ، كأنه مساحة آمنة بين قلبين.
عند اقترابهما من المنزل، خفّف السرعة أكثر، وكأنه لا يريد أن تنتهي الرحلة.

قالت سلمى وهي تنظر من النافذة: "أحياناً بخاف من الحاجات الحلوة... لأنها بتمشي بسرعة."

أوقف السيارة عند الشارع القريب من البيت ، ولم يطفئ المحرك فورًا.

التفت إليها وقال بهدوء مختلف: "مش كل حاجة حلوة لازم تمشي بسرعة... في حاجات ممكن نتمسك بيها لو ما استعجلنا النهاية."
نظرت إليه طويلاً، ثم إلى يده التي ما زالت قريبة من يدها.

هذه المرة، هي من بدأت التشابك مرة أخرى، أقوى من قبل.

وقالت بصوت خافت: "طيب خلينا ما نستعجل."

ابتسم، وكأنه كان ينتظر هذه الجملة تحديًدًا.

ثم أطفأ المحرك أخيرًا... لكن لم تتحرك السيارة، وكأن الزمن نفسه قرر أن يتوقف معهما قليلاً قبل أن يسمح لهما بالعودة إلى الواقع.

الفصل الخامس عشر

في تلك الليلة، لم يكن النوم سهلا على الطرفين.

سلمى دخلت غرفتها، جلست على طرف السرير، وظلت تحدق في الفراغ أمامها كأنها تحاول فهم ما حدث بدقة. لم تكن تملك تفسيرًا واضحًا، لكنها كانت تعرف شيئاً واحدًا فقط... أن هناك شيئاً تغيرّ.

أمسكت هاتفها، فتحت الشاشة، ثم توقفت. ترددت للحظة طويلة قبل أن تكتب: "وصلت." لم تضف شيئاً آخر.

لكن قلبها كان يقول أكثر مما تكتبه يدها.

على الطرف الآخر، كان محمود يدخل غرفته بهدوء، لا يسرع، كأنه لا يريد أن يقطع آخر خيط يربطه بها في تلك الليلة. وعندما وصل بقي جالسًا للحظات.

ثم وصلته الرسالة.

ابتسم فورًا، ابتسامة خفيفة لكنها دافئة، وأجاب رسالتها بسرعة: "حمدلله على السلامة."

توقف قليلا، ثم أرسل: "ما تنومي بسرعة... الليلة دي مختلفة حتى في الذكريات."

أغلق الهاتف، وأسند رأسه على الوسادة لحظة قصيرة، وكأنه يعيد ترتيب كل شيء بداخله.

أما سلمى، فعندما وصلها الرد، لم تكتفي بقراءته مرة واحدة.

أعادت قراءته أكثر من مرة، وكل مرة كانت تشعر أن الكلمات أقرب من مجرد رسالة... كأن صوته يصلها فعلا .

كتبت: "إنت كمان... حاول ترتاح."

ثم توقفت، وبعد ثوانٍ أرسلت: "اليوم كان جميل."

جلس محمود ينظر إلى الشاشة بصمت طويل قبل أن يرد: "لأول مرة أصدق كلمة)جميل(بالشكل دا ، أنا كنت معاك في عالم تاني ، عالم عمري ما حلمت بيه ،لسه ريحتك في هدومي، ما قادر أفوق ، ما قادر أصدق إنك مشيتي مني"

ردت :" أنا بحبك جدا يا محمود "

الفصل السادس عشر

في الأيام التالية، لم يتغير كل شيء فجأة، لكن شيء صغير بدأ يكبر بصمت بينهما.

رسائل قصيرة في الصباح: "صباح الخير..." "وصلت شغلك؟" "أكلت؟"

مكالمات قصيرة في الليل، لا تدوم طويلا، لكنها كانت كافية لتترك أثرًا.

حتى الصمت بين الرسائل لم يعد صمتاً عادياً... بل انتظارًا.

وفي أحد الأيام، بعد عدة لقاءات بسيطة متفرقة، وقف محمود أمامها مجدَّدًا، هذه المرة خارج مكان يعرفه الاثنان جيِّدًا، وقال:

"أنا ما عايز اللي بينا يفضل مجرد صدفة حلوة."

نظرت إليه سلمى، وقلبها كان أهدأ من قبل لكنه أعمق.

قالت: "وأنا ما عايزة أهرب منه."

ساد صمت قصير، ثم اقترب خطوة واحدة فقط، وقال بهدوء: "خلينا نمشيه صح... بدون استعجال، بدون خوف."

هزّت رأسها.

هذه المرة لم تكن هناك سيارة، ولا مول، ولا سينما... فقط اثنان

قررا أن ما بدأ في ليلة عابرة، لم يكن عابرًا كما ظناّ.

مرّت الأيام بهدوء مختلف داخل ذلك المنزل الكبير.

في النهار، كان كل شيء يبدو طبيعياً... محمود يخرج مع عمّها الى العمل، يتابعان أمورًا متعلقة بالشركات، ويعودان أحياناً متأخرين. وسلمى تبقى في المنزل، تقرأ، تساعد في بعض الأمور، أو تنشغل بدراستها وحياتها الهادئة.

لكن ما كان يحدث بينهما لم يعد مرتبطًا بالصدفة أو اللقاءات العابرة... بل أصبح جزءًا خفياً من تفاصيل المكان نفسه.

رغم أنهما يسكنان في نفس المنزل، إلا أن كل لقاء بينهما كان يحمل نفس التوتر الجميل الأول... كأنه ليس مألوفاً مهما تكرر.

في أحد الصباحات، كانت سلمى في المطبخ تعُدّ كوب قهوة، عندما دخل محمود بهدوء من الجهة الأخرى.

توقفت يدها للحظة، ثم أكملت وكأنها لم تتأثر، لكن انعكاسها في الزجاج كان يفضح ارتباكها الخفيف.

قال بصوت منخفض: "صباح الخير."

ردّت دون أن تنظر إليه مباشرة: "صباح النور."

لكن الصمت بينهما لم يكن صمتاً عاديًا... كان ممتلئاً بتفاصيل الليلة السابقة، وبكل ما لم يقُال بعد.

اقترب خطوة، ثم قال: "عمّك طالع بدري اليوم."

أومأت: "عارفة."

ثم التفتت إليه أخيرًا، وقالت: "يعني حتكون موجود في البيت فترة أطول؟"

ابتسم ابتسامة خفيفة: "لو دا مضايقك، أقدر أطلع."

رفعت حاجبها بسرعة: "ومن قال إني متضايقة؟"

ساد صمت قصير، ثم قال بهدوء: "كنت بس بتأكد."

كانت المسافة بينهما في المطبخ صغيرة جَدًا، لكنها دائمًا تبدو أكبر مما هي عليه.

سلمى التفتت نحو الكوب، تحاول أن تبدو طبيعية، لكن صوتها خرج أخف مما أرادت: "إنت دايمًا بتقرب كدا بدون ما تحس؟"

أجاب بصراحة هادئة: "ولا أنا بحس... إلا لما أكون قريب منك."

توقفت للحظة.

لم ترد مباشرة، لكنها شعرت أن قلبها يسبق كلماتها.

في تلك اللحظة، فتح الباب الخارجي، وسمعا صوت عمّها من بعيد ينادي محمود. ابتعد فورًا بخطوة طبيعية، كأن شيئاً لم يكن، لكن الأثر بقي في المكان.

مرت ساعات النهار كالمعتاد.

لكن في المساء، حين هدأ البيت، خرجت سلمى إلى الحديقة الخلفية دون سبب واضح. كانت تحتاج فقط لهواء مختلف.

جلست على أحد المقاعد، وهناك وجدته جالسًا بالفعل، وكأنه كان ينتظرها دون أن ينتظرها فعلياً.

قال دون أن ينظر فورًا: "البيت كبير... لكن غريب، أحس أوقات إنه بيضيق لما تكوني بعيدة."

جلست بجانبه، وقالت بهدوء: "وبيضيق لما أكون قريبة؟"

نظر إليها أخيرًا: "بالعكس... لما تكوني قريبة، بحس إني أخيرًا في مكاني الصح."

سكتت قليلا، ثم قالت: "إنت عارف إننا لازم نكون أهدى من كدا؟"

أومأ: "عارف."

لكن صمته لم يكن تراجعاً، بل اعترافًا بأن الهدوء لا يعني الابتعاد.

في تلك الليلة، حين عاد كل واحد منهما الى جزءه من المنزل، لم يكن الانفصال بين الأبواب يعني انفصالًا حقيقياً.

ففي بيت واحد... وفي مساحتين منفصلتين...

بدأت قصة تتشكل بصمت، لا يراها أحد، لكنها كانت تكبر في كل مرة يلتقيان فيها داخل نفس المكان، وكأن الجدران نفسها بدأت تحفظ ما بينهما دون أن تتكلم.

الفصل السابع عشر

في الأيام التالية، صار الصمت داخل المنزل مختلفاً.

لم يعد صمتاً عاديًا بين شخصين يسكنان نفس المكان، بل صار صمتاً مليئاً بتفاصيل صغيرة... نظرات تُلتقط سريعاً في الممر، خطوات تتباطأ حين يقترب أحدهما من الآخر، وأحاديث قصيرة تقُال وكأنها لا تحمل معنى، لكنها في الحقيقة تحمل كل شيء.

سلمى بدأت تلاحظ أنها تنتبه لوجوده أكثر مما تريد الاعتراف به. حتى صوت باب جناحه في الجهة الأخرى من المنزل صار له وقع خاص لديها، تعرف متى يدخل ومتى يخرج دون أن تراه.

ومحمود، رغم هدوئه المعتاد، صار أكثر انتباهًا لها أيضًا... كأنه أصبح يقرأ تفاصيلها من بعيد، قبل أن تتكلم.

في مساء أحد الأيام، كانت سلمى تصعد الدرج متجهة إلى غرفتها، عندما التقت به في منتصف الطريق.

توقفا معاً.

المسافة بينهما كانت ضيقة كالمعتاد، لكن هذه المرة كان هناك شيء مختلف في الهواء.

قال بهدوء: "راجعة بدري اليوم؟"

أجابت: "ما في سبب يخليني أرجع متأخرة."

سكت لحظة، ثم قال: "أوقات بحس إنك بتتجنبي وجودي."

رفعت نظرها إليه بسرعة: "وإنت أوقات بتفترض أشياء ما صحيحة."

ابتسم بخفة، لكن عينيه كانت جادة: "طيب قولي لي... أنا غلطان؟"

صمتت.

ذلك الصمت كان كافياً ليجيب بدلها.

لم تنكر، ولم تؤكد.

فقط مرت بجانبه لتكمل طريقها، لكن هذه المرة... لم يكن المرور عادياً. كان بطيئاً، كأن الزمن نفسه توقف بين خطوتين.

في الليل، لم تستطع سلمى النوم بسهولة.

خرجت إلى الشرفة الخلفية، وكان الهواء أبرد من المعتاد. وقفت هناك تحاول تهدئة أفكارها، لكن صوت خطواته جاء من خلفها بعد دقائق.

لم تلتفت فورًا.

قال: "كنت عارف إنك هنا."

أجابت دون أن تنظر: "البيت كله معروف بالنسبة لي، ما في مكان أضيع فيه."

اقترب، وقف بجانبها دون أن يلمسها، وقال: "لكن في حاجات ما بتتشاف حتى لو المكان معروف."

التفتت إليه أخيرًا: "زي شنو؟"

نظر إليها طويلاً، ثم قال: "زي اللي بينا."

ساد صمت مختلف هذه المرة... ليس صمت ارتباك، بل صمت مواجهة.

سلمى شدّت على طرف الشرفة قليلا وقالت: "إنت عارف إن الوضع دا صعب... إحنا في نفس البيت، وعمّي..."

قاطعها بهدوء: "أنا ما داخل في حسابات البيت."

ثم أضاف بصوت أخف: "أنا داخل فيك إنتي ."

توقفت الكلمات داخلها للحظة.

لم تعرف ماذا ترد.

هذه المرة لم يكن هناك هروب سريع، ولا باب يغُلق، ولا شخص ثالث يقطع اللحظة.
فقط هما... وليل الخرطوم الهادئ... وصمت طويل بدأ يتحول إلى شيء أعمق من الصمت نفسه.

ثم قالت بصوت منخفض جِدًا: "وإنت متأكد إنك عارف إنت داخل على شنو؟"

اقترب خطوة واحدة فقط، ليست قريبة بما يكفي لكسر الحدود، لكنها كافية لتغيير كل شيء.

وقال: "أنا داخل على حاجة ما عايز أطلع منها."

لم ترد.

وجدت نفسها بين ذراعيه ، ذلك المكان الذي حاولت كثيرا أن تهرب منه.

الفصل الثامن عشر

صار هذا "القرب الصامت" جزءًا من تفاصيل البيت دون أن يعلنه أحد.

لم يعد الأمر مجرد لقاءات عابرة في الممر أو نظرات تفُهم بسرعة ثم تخُفى. أصبح هناك نوع من الاعتياد الجديد... اعتياد يحمل توترًا لطيفاً لا يهدأ.

سلمى بدأت تلاحظ أنها تنتظر لحظة ظهوره أكثر مما تعترف به لنفسها. ليس لأنها تبحث عنه مباشرة، بل لأن وجوده صار يغيّر مزاج المكان كله، حتى لو لم يتكلم.

ومحمود، رغم انشغاله مع عمّها في العمل، كان يعود دائمًا في أوقات تشبه التوقيتات التي لا تبدو مصادفة. كأنه يعرف متى يكون البيت أكثر هدوءًا، ومتى تكون هي أقرب دون أن يراها أحد.

في أحد المساءات، كانت سلمى في الحديقة الخلفية وحدها. الهواء كان لطيفاً، والسماء مائلة للون الغروب، والبيت خلفها هادئ بشكل غير معتاد.

جلست على المقعد الخشبي، وضعت يدها على طرفه، تنظر دون تركيز.

بعد دقائق، سمعت خطوات خلفها.

لم تلتفت فورًا... لأنها عرفت صاحبها.

قال بهدوء وهو يقترب: "بتفضلي هنا دايمًا لما تفكري؟"

أجابت دون أن تنظر إليه: "أنا ما بفكر... أنا بهرب من التفكير."

جلس على المقعد المقابل لها، كعادته، المسافة بينهما كانت شبه معدومة.

قال: "وإنتي بتعرفي

تهربي؟" نظرت إليه أخيرًا:

"أحياناً."

ابتسم بخفة: "لكن واضح إنك ما بتنجحي دايمًا."

سكتت لحظة، ثم قالت: "إنت ليه دايمًا بتكون موجود لما أكون عايزة أفكر؟"

لم يتهرب من السؤال هذه المرة.

قال بهدوء: "يمكن لأنك ما بتكوني عايزة تفكري... لكن بتكوني عايزة حد يفهم بدون ما تسألیه."

تغيرت ملامحها قليلا .

لم ترد مباشرة.

لكن عينيها بقيت عليه أطول من المعتاد.

في الداخل، كان البيت هادئاً تمامًا. لا أصوات، لا حركة، فقط ذلك السكون الذي يجعل أي كلمة مسموعة أكثر مما يجب.

قالت بعد لحظة: "إحنا ماشيين في اتجاه ما واضح."

أجاب: "مش لازم كل حاجة تكون واضحة من البداية."

نظرت إلى السماء ثم قالت: "لكن في بيت واحد... وفي ناس... وفي حدود."

اقترب قليلا،وقال: "أنا ما كاسر أي حد."

ثم أضاف بصوت أخف: "لكن واضح إن في حاجة بينا ما عادت بتقف عند حدود البيت." ساد صمت.

لكن هذه المرة، لم يكن صمت تراجع.

كان صمت إدراك.

في تلك اللحظة، سُمع صوت باب المنزل الأمامي يفُتح، ربما عودة أحد العاملين أو عمّها مبكرًا.
تحرك الاثنان تلقائيًا، كل واحد عاد إلى "نظامه" داخل البيت، كأن شيئاً لم يحدث.

لكن عندما دخلت سلمى إلى الداخل، مرّت بجانبه في الممر.

توقفت ثانية واحدة فقط.

قالت بخفوت: "الحدود دي... صعبة."

لم ينظر إليها مباشرة، لكنه قال: "بس لسه ما وقعت."

ثم افترقا.

في الليل، لم يكن النوم سهلا .

سلمى كانت في غرفتها، تتقلب بصمت، وكلما أغمضت عينيها تذكرت صوته في الحديقة، والجملة التي لم تتركها: في حاجة بينا ما عادت بتقف عند حدود البيت.

وفي الجهة الأخرى من المنزل، كان محمود مستيقظًا أيضًا.

واقفاً قرب نافذته، ينظر إلى الظلام الخارجي، لكنه لا يراه فعلياً.

كلاهما كان في نفس البيت...

لكن كل واحد منهما كان يدرك شيئاً واحدًا فقط بوضوح أكبر من أي وقت سابق:

أن ما بدأ داخل هذا المنزل لم يعد مجرد شعور عابر... بل أصبح شيئاً يكبر بصمت، ويغيرّ شكل كل يوم يمر، حتى لو لم يعُلن بعد اسمه.

أمسك هاتفه واتصل بها.

جاءه صوتها مرتجفا :" لسه ما نمت"

رد :" ما قادر"

تساءلت سلمى:" ليه"

أتاها صوته يحمل كل ما كانت تفكر فيه :" ما قادر ، أنا حأجيك"

قالت مسرعة :" محمود، ما تتهور ..."

اغلق الخط قبل أن تكمل جملتها ، بدأت تتعرق وأطرافها ترتجف خوفا ، ماذا لو رآه عمها؟

عاودت الاتصال به ، الهاتف يرن لكن لا أحد يجيب ، فتحت باب غرفتها وهي تدعو الله ألا يكون خلف الباب .

لكن محمود دخل مسرعا وأغلق الباب خلفه بإحكام.

كان يقف أمامها وتلك النظرات في عينيه تشرح كل شئ ، أرتمت في حضنه وهي تهمس بصوت خافت:" إنت مجنون"

الفصل التاسع عشر

لكن الحب... لم يسُمح له أن يكتمل بسهولة.

في صباح اليوم التالي، كان الجو مختلفاً.

محمود لم يكن في مكانه المعتاد.

سلمى شعرت بقلق غريب.

سألت زوجة عمها: "محمود وين؟"

أجابت: "طلع بدري وما رجع."

مرّت ساعات.

ثم جاء رجل غريب إلى الحي.

ملابسه ليست من أهل المكان، ونظراته تبحث عن شيء محدد.

سأل أحد الأطفال: "محمود هنا؟"

انتشر الاسم في الهواء كأنه تهديد.

في المساء، عاد محمود.

لكن وجهه لم يكن كما هو.

سلمى وقفت أمامه بسرعة: "في شنو؟"

لم يرد.

دخل مباشرة إلى الغرفة.

تبعته.

قالت: "محمود! أنا بتكلم معاك!"

التفت فجأة.

وكانت أول مرة تراه بهذا الشكل: قلق، غضب، وخوف حقيقي.

قال: "في زول كان بيسأل عني." سكت.

ثم أضاف: "زول من الماضي."

سلمى شعرت ببرودة تسري داخلها: "شنو يعني؟"

اقترب منها خطوة: "يعني الحياة البهرب منها... لقتني."

في الليل، جلس محمود وحده.

يداه ترتجفان قليلا .

ليس خوفاً فقط... بل صراعًا.

قال بصوت منخفض: "أنا ما داير الماضي يدخل هنا... ما دايرها تتأذى بسببي."

لكن صوتاً داخلياً آخر كان يقول: "الماضي ما بس بيجي ليك... بيجي ليها هي كمان."

في الخارج، كانت سلمى تقف خلف الباب، تسمعه.

لم تدخل.

لكن عينيها كانت مليانة قرار.

همست لنفسها: "أنا ما حأهرب."

في صباح الخرطوم، كانت الشمس حادة بشكل غير معتاد، كأنها تكشف ما كان مخفياً طوال الليل.

محمود لم ينم.

كان جالسًا في الغرفة منذ الفجر، نفس الوضع، نفس الصمت، لكن عينيه تقولان إن هناك شيئاً ينهار داخله ببطء.

في الخارج، كانت سلمى تراقب الباب.

لم يعد إحساسها مجرد فضول... كان قلقًا حقيقياً.

سمعت خطوات.

ليست خطوات أهل البيت.

ثقيلة... بطيئة... واثقة بشكل مزعج.

توقفت أمام الباب الخارجي.

ثم صوت طرق.

طرق واحد... ثم توقف... ثم طرق أقوى.

سلمى فتحت الباب بحذر.

رجل في الأربعين تقريبًا.

ملامحه قاسية، ووجهه يحمل خبرة الشوارع أكثر من أي وظيفة أو حياة مستقرة.

نظر إليها مباشرة: **"محمود هنا؟"**

سكتت لحظة.

ثم قالت: **"نعم... منو إنت؟"**

ابتسم ابتسامة لا تحمل أي دفء: **"قولي ليه... أحمد لقى الطريق ليه تاني."**

في تلك اللحظة، شعرت سلمى أن الاسم وحده ثقيل.

دخل الرجل دون استئذان.

الفصل العشرون

محمود خرج من الغرفة فجأة.

توقف.

عينيه التقت بعيني الرجل.

وفي ثانية واحدة... تغيرّ كل شيء في وجهه.

الغضب... الخوف... الماضي كله عاد دفعة واحدة.

قال بصوت منخفض لكنه حاد: "إنت عايز شنو؟"

الرجل ضحك: "ما كبرت يا محمود... لسه بتسأل نفس السؤال."

سلمى وقفت بينهما: "في شنو؟ حد يفهمني!"

لكن الاثنين لم يلتفتا إليها.

كأنها غير موجودة.

محمود قال: "قلت ليك خليني في حالي."

الرجل اقترب خطوة: "أنت ما عندك حال أصلاً... إنت حالنا كلنا."

صمت.

ثم أضاف: "الناس البتنسى... الماضي بذكّرها."

جلس الرجل دون دعوة.

كأنه صاحب المكان الحقيقي.

وقال وهو ينظر لسلمى: "أنتي عارفة إنو دا ما اسمو الحقيقي محمود ؟"

تجمدت.

نظرت إلى محمود بسرعة.

لكن وجهه كان مغلقاً تمامًا.

الرجل أكمل: "دا ولد الشارع... اتربى بينا... ما عنده اسم ثابت... ولا بيت... ولا أهل." صمت.

ثم أضاف: "وإحنا كنا بنستفيد منه."

سلمى بصوت مرتجف: "تستفيدوا منه كيف؟"

محمود صرخ فجأة: "كفاية!"

لكن الرجل لم يتوقف.

"كان يسرق... ينقل... يشيل الغلط عن الكبار... ولما كبر... حاول يهرب مننا."

نظر إليه: "لكن الماضي ما بيهرب منه زول."

سلمى التفتت إلى محمود ببطء.

"دا صحيح؟"

الصمت كان الجواب الأول.

ثم قال بصوت مكسور: "جزء منه."

هذه الكلمة كسرت شيئاً في الهواء.

سلمى لم تتحرك.

لكن داخلها كان هناك شيء ينكسر.

قالت بهدوء مؤلم: "ليه ما قلت لي؟"

محمود: "كنت خايف."

"من شنو؟"

سكت.

ثم قال: "خايف أشوف نفس النظرة دي في عيونك."

اقتربت خطوة.

"وأنت شايف في عيوني شنو ؟ "

توقف.

لم يستطع الإجابة.

الرجل ضحك: "شفت؟ البداية جميلة... لكن النهاية دايمًا بتكون زيي."

سلمى التفتت إليه بغضب: "أنت ما عندك حق تحكم عليه!"

لكن الرجل قال: "أنا ما بحكم... أنا بس بذكّر." ثم وقف: "الزمن جاي يا محمود... ودي أول زيارة بس."

الفصل الواحد وعشرون

بعد خروجه، عمّ الصمت.

لكن هذا ليس صمت هدوء... بل صمت انهيار.

سلمى جلست.

لم تعد واقفة.

نظرت إلى الأرض.

ثم قالت بصوت منخفض: "أنا ما كنت عارفة إني بحب زول عنده كل دا."

محمود اقترب ببطء: "سلمى... اسمعيني."

لكنها رفعت يدها: "لا... أنا سمعت كفاية." سكت.

ثم أكملت: "أنا ما زعلانة من ماضيك..." "أنا زعلانة إنك خليتني أعيشه بدون ما أعرفه."

هذه الجملة كانت أقسى من أي صراخ.

في الليل، كانت الخرطوم أكثر هدوءًا من المعتاد.

لكن داخل البيت... لم يكن هناك أي هدوء.

محمود وقف عند الباب.

قال: "لو عايزه أطلع من حياتك... أنا بطلع."

سلمى لم ترد فورًا.

كانت تنظر إليه.

نظرة طويلة.

ثم قالت: "وأنت عايز شنو؟"

صمت.

ثم قال: "أنتي طبعا... لكن ما عاوز أدمرك."

اقتربت خطوة.

"أنا ما بتهدم بسهولة."

سكتت.

ثم قالت: "لكن ما حأبقى معاك بنص الحقيقة."

ساد صمت طويل جدا.

ثم قال: "طيب لو عرفتي كل شيء... ولسه عايزه تبقي؟ "

نظرت إليه.

هذه المرة بثبات كامل.

"قول كل شيء."

جلس محمود أمام سلمى كأنه يجلس أمام محكمة لا يمكن الهروب منها.

الليل كان هادئاً بشكل مخيف، والبيت يبدو أصغر من عادته، كأن الجدران اقتربت من بعض.

سلمى قالت بهدوء: "احكي لي كل شيء."

صمت طويل.

ثم بدأ.

صوته كان مختلفاً... ليس صوت رجل قوي، بل صوت شخص تعلّم أن الكلام مؤلم:

"أنا ما اتولدت في بيت مستقر..." "ما عندي أب معروف... وأمي اختفت وأنا صغير." سكت لحظة، ثم أكمل:

"كبرت في الشارع... أي حاجة تعلمتها كانت من الشارع نفسه." "الناس الكبار كانوا بيستخدموني في شغل ما بيفهمه طفل."
سلمى لم تقاطعه، لكن عينيها بدأت تتغير.

أكمل:

"كان عندي اسم تاني... محمود دا الاسم البديته لنفسي لما حاولت أبدأ من جديد." "لكن الماضي ما بيسيب زول بسهولة."

رفع نظره إليها: "الرجل اللي شفتيه... أحمد... كان جزء من المجموعة الربتني." "ولما حاولت أهرب... بقيت عدوهم." صمت.

ثم قال أخيرًا: "أنا ما ملك لنفسي يا سلمى... أنا كنت جزء من ظلام كبير."

سلمى لم تبك .

لكن ملامحها كانت ثابتة بشكل مؤلم.

قالت: "ليه ما هربت بدري؟"

رد: "ما كان في طريق واضح للهروب."

اقتربت خطوة: "والحب؟" سكت.

هذه الكلمة كانت أثقل من كل الماضي.

قال بصوت منخفض: "الحب أول مرة أحسه كان معا ك ... ودا أخوف شعور في حياتي."

سلمى قالت: "لأنك ما متعود تحس بحاجة نظيفة؟"

هز رأسه: "لأن أي حاجة نظيفة في حياتي... كانت بتتكسر."

الفصل الثاني والعشرون

في الخارج، صوت دراجة نارية توقفت قرب البيت.

ثم صوت خطوات سريعة.

سلمى التفتت نحو النافذة.

محمود وقف فورًا.

قال بصوت حاد: "ادخلي جوة."

سلمى: "شنو الحاصل؟"

لكن قبل أن يرد، انطفأ ضوء البيت فجأة.

ظلام كامل.

صوت من الخارج: "محمود... النهاية قربت."

سلمى شعرت بقشعريرة.

محمود أمسك يدها لأول مرة بقوة حقيقية: "اسمعيني كويس... أي حاجة تحصل، ما تطلعي من الغرفة."

سلمى: "أنا ما بخاف."

نظر إليها: "أنا بخاف عليك أنتي."

خرج محمود إلى الخارج.

سلمى لم تستطع البقاء.

تبعت بصمت.

في الساحة الخارجية، وقف أحمد مع رجلين آخرين.

قال أحمد: "رجعت تتفلسف يا محمود؟"

محمود: "انتهى الموضوع."

ضحك أحمد: "انتهى لما تقول أنت؟"

اقترب خطوة: "أنت فاكر الهروب

ساهل؟" الصمت كان مشحوناً.

سلمى وقفت خلف الباب، تراقب.

محمود قال: "أنا ما بدي مشاكل... خلوني أعيش."

أحمد: "وأنت فاكر الحياة بتبدأ من جديد كدا؟" ثم

أشار نحو البيت: "هي دي المشكلة الجديدة؟"

تجمدت سلمى.

محمود صرخ: "ما تقرب منها!"

اللحظة أصبحت خطيرة.

محمود بين خيارين: الماضي أو سلمى.

التفت إليها.

نظر طويلا .

ثم قال بصوت منخفض: "لو اختفيت... حياتك حتكون أهدى."

سلمى صرخت: "ما تقرر عني!"

لكن هو كان قد حسم جزءًا من قراره.

اقترب منها: "أنا لو بقيت... هم ما حيسيبوك."

سلمى: "وأنا ما عايزه حياة بدونك!" صمت طويلاً جدًا.

ثم لأول مرة... ابتسم ابتسامة حزينة جِدًا: "دي المشكلة..."

الفصل الثالث والعشرون

في صباح اليوم التالي...

اختفى محمود.

لا رسالة.

لا أثر.

لا وداع واضح.

فقط فراغ.

سلمى خرجت تبحث عنه في الحي، في السوق، عند الطرقات.

كل الناس تقول: "ما شفناه."

لكن في مكان آخر... كان

أحمد يراقب.

ويقول: "بدأنا من جديد... بس النهاية لسه ما جات."

سلمى وقفت عند نافذة الغرفة.

الخرطوم أمامها كما هي... صاخبة، حية، لكنها بالنسبة لها فارغة.

وضعت يدها على الزجاج .

لا إجابة.

لا صوت.

فقط المدينة.

وفقط احتمالين معلقين في الهواء:

هل هرب ليحميها؟

أم أخُذ منها بالقوة؟

لم يعد محمود

موجوًدًا في المكان

الذي يمكن أن يشُار

إليه بإصبع، ولا

في البيت، ولا في

الحي، ولا في أي

عنوان واضح

يمكن أن تقُال فيه

كلمة "هنا".

لكنه أيضًا لم يختفي تمامًا.

صار شيئاً آخر... أقرب إلى ظلٍ لا يعلن نفسه، لكنه لا يغادر.

سلمى لم تكن تراه، لكن حضورُه كان يتسلل إلى تفاصيل يومها دون استئذان. في الأماكن التي تمشي فيها، في اللحظات التي تصمت فيها فجأة دون سبب، في الإحساس الغامض بأن أحَدًا ما يعرف بالضبط أين تقف الآن... كأن هناك عينًا بعيدة لا تنام.

كانت تخرج من البيت فتشعر بشيء غير مرئي يسبقها إلى الطريق. تمشي في السوق، فتتوقف للحظة دون تفسير، كأن الهواء نفسه تغيرّ. تجلس على النيل، فتشعر أن المقعد الذي بجانبها ليس فارغًا تمامًا، رغم أنه لا أحد هناك.

لكنها كانت لا تراه.

ولا أحد يستطيع أن يثبت لها أنه موجود أصلاً.

في مكان بعيد قليلاً عن صخبها، كان محمود يقف في الظل فعلاً .

لا يقترب بما يكفي ليكُشف، ولا يبتعد بما يكفي لينسى.

كان يراها وهي تضحك مع أمينة في الحوش، يراقب خطواتها وهي تخرج إلى السوق، يتابع صمتها حين تجلس وحدها عند النيل. كان يعرف متى تكون متعبة، ومتى تحاول أن تخُفي شيئاً حتى عن نفسها.

لم يكن يتحدث، ولا يقترب.

كأنه اختار أن يحب من المسافة التي لا تكُسر فيها الأشياء.

أو ربما لأنه يعلم... أن اقترابه مرة أخرى قد يعُيد كل شيء إلى الانهيار. سلمى في بعض الليالي كانت تتوقف فجأة، ترفع رأسها نحو الشارع، كأنها سمعت اسمها ينُادى من بعيد، أو كأن أنفاسًا مألوفة مرت بجانبها دون صوت.

تقول لنفسها إن الأمر مجرد تعب، أو خيال، أو بقايا مشاعر لا تريد أن تنتهي.

لكن قلبها كان يرفض هذا التفسير البسيط.

لأن بعض الغيابات لا تشُبه الغياب.

بعضها يتحول إلى حضورٍ أعمق من الوجود نفسه.

في ليلة هادئة على النيل، جلست وحدها، تنظر إلى الماء الذي لا يتوقف عن الحركة.

همست بصوت خافت، كأنها لا تخاطب أحَدًا:

"لو كنت قريب... كان المفروض تبان"

لم يجبها أحد.

لكن الريح التي مرت في تلك اللحظة، كانت دافئة بشكل غريب، كأنها تحمل شيئاً مألوفًا، أو ذكرى نفسٍ كان قريبًا جَدًا ولم يعد ظاهرًا.

في الجهة الأخرى، كان محمود واقفاً.

يراقبها من بعيد.

عيناه عليها وحدها، وكأنه لا يرى المدينة كلها من حولها.

لم يتحرك.

لم يقترب.

فقط ظل ثابتاً، كأنه وعد لم يكتمل، أو حب قرر أن يعيش دون أن يعُلن وجوده.

وفي داخله، كان يعرف الحقيقة التي لا يقولها:

أنه مهما ابتعد... لم يغادر.

ومهما اختفى... لم ينتهي .

سلمى رفعت رأسها مرة أخيرة نحو الأفق.

ثم ابتسمت ابتسامة صغيرة، بلا سبب واضح، كأن شيئاً ما بداخلها صدّق ما لا تستطيع عيونها رؤيته.

ومحمود، في الظل، أغمض عينيه للحظة طويلة... كأنه يحفظ هذه اللحظة بينهما، دون أن يجرؤ على كسرها بالاقتراب.

وهكذا بقيت القصة كما بدأت...

لا لقاء واضح، ولا وداع كامل.

فقط حب لم ينته، وظل لم يرَ ُ، وقلبان اختارا أن يلتقيا... دون أن يلتقيا.

الفصل الأخير

في تلك الليلة، كانت الخرطوم ساكنة على غير عادتها.

كأن المدينة كلها قررت أن تنام مبكرًا، أو كأنها لا تريد أن تكون شاهدة على شيء سيحدث داخل بيت صغير لا يعرفه أحد جيِّدًا.

سلمى نامت متعبة، بعد يوم طويل من التفكير والانتظار الذي لم تعترف به حتى لنفسها.

لكن قلبها... لم يكن نائمًا تمامًا.

كان هناك شيء داخله يرفض الاستسلام للهدوء.

في منتصف الليل...

انفتح الباب بهدوء شديد.

ليس كسرًا... ولا اقتحامًا.

بل كأن اليد التي فتحته تعرف تمامًا كيف لا تحُدث صوتاً.

دخل محمود.

لم يكن يحمل شيئاً سوى صمته المعتاد، وتلك النظرة التي لا تظهر كاملة في الضوء.

توقف عند الباب للحظة، يتأكد أن البيت غارق في النوم.

ثم تحرك نحو الغرفة.

كانت سلمى نائمة بعمق.

وجهها هادئ، ويدها تحتضن شيئاً صغيرًا قرب صدرها...

صورة.

صورته هو.

محمود توقف.

لم يتحرك.

كأن الزمن نفسه قرر أن يتوقف معه في تلك اللحظة.

اقترب ببطء شديد.

جلس بجانبها على طرف السرير.

نظر إليها طويلاً .

ثم، كأن كل ما في داخله انكسر بهدوء، انحنى وقبّل جبينها بحذر، بحب لا يريد أن يوقظها ولا أن يعُلن نفسه.

جلس لحظة أطول.

ثم تمدد قربها.

لم يلمسها كثيرًا... فقط قربها بما يكفي ليشعر أنه ليس خارج حياتها.

أغمض عينيه.

ولأول مرة منذ زمن طويل... نام دون قلق.

في حضن اللحظة، لا في حضن المكان.

قبل الفجر بقليل...

استيقظ.

نظر إليها مرة أخيرة.

ثم وقف بهدوء.

كما دخل... خرج.

دون صوت.

دون أثر.

وكأنه لم يكن هنا أصلاً .

في الصباح الشمس دخلت

الغرفة بخفة.

سلمى فتحت عينيها ببطء.

ثم تجمدت للحظة.

هناك شيء مختلف في الهواء.

رائحة.

ليست رائحة البيت.

ليست رائحة الصباح.

بل رائحة شخص واحد فقط.

محمود.

جلست بسرعة.

نظرت حولها.

الغرفة مرتبة كما هي.

لا شيء مكسور.

لا شيء يدل على دخول أحد.

لكن قلبها كان يقول شيئاً آخر.

نهضت بسرعة.

فتشت الغرفة بجنون.

تحت السرير.

قرب الباب.

حول الكرسي.

كل شيء... فارغ.

لا أثر.

لا دليل.

كأنها حلمت به فقط.

لكنها توقفت فجأة.

يدها ارتجفت.

وقلبها قال لها الحقيقة التي لا تحتاج إثباتاً:

"هو كان هنا..."

وقفت في منتصف الغرفة، أنفاسها متسارعة، وعيناها تبحثان في الفراغ كأنهما تحاولان الإمساك بشيء غير مرئي.

همست بصوت مكسور:

"محمود..."

لكن الغرفة لم تجب.

فقط الهواء.

وكان ذلك الهواء... لا يزال يحمل شيئاً منه.

النهاية.